توظيف العامل الديني لخدمة اهداف السياسة الخارجية الامريكية
(الحرب على العراق 2003 أنموذجا)

د. عامر هاشم عواد
مركز الدراسات الدولية/ جامعة بغداد

المقدمة

كتب المؤلف الامريكي روبرت وثوناوا في كتابه " امريكا وتحديات التنوع الديني" الصادر عام 2005 يقول" إن اكتشاف كريستوفر كولمبوس لأميركا كان في حد ذاته مدفوعا بأسباب دينية واضحة، حيث سعى كولمبوس للبحث عن طريق مختلف إلى الهند بعيدا عن بلاد المسلمين، كما حلم بالعثور على كنز يمكنه من دفع تكلفة جيوش تحرر القدس من المسلمين" وهو هنا لم يجعل من الاتجاه الديني في الولايات المتحدة يبدو مستحدثا، وانما تطرف ليجعل حتى من استكشاف كولومبوس لامريكا بداعي الدين والحرب المقدسة.

وعلى العكس من معظم المجتمعات الغربية العلمانية، ظل الدين يمثل قيمة أساسية في حياة الأميركيين وملمحا مميزا للمجتمع على مدار التاريخ الأميركي، بل يمكن القول إن المجتمع الأميركي أسس تاريخيا على أساس ديني. ورغم علمانية الدولة التي تم إقرارها منذ البدايات الأولى لجيل المؤسسين وحرصهم على فصل الدولة الناشئة عن الكنيسة، يظل المجتمع الأميركي واحدا من أكثر المجتمعات العلمانية محافظة وتدينا. والا بماذا نفسر عبارة" نثق في الرب" على عملة الدولار الامريكي، وعبارة" بامر الرب" في ميثاق الولاء للدولة الامريكية!

و تشير نتائج استطلاعات الرأي العام في الولايات المتحدة إلى أن معظم الأميركيين يعدون أنفسهم مؤمنين ومتدينين، ففي استطلاع للرأي أجرته مؤسسة غالوب Gallup في منتصف التسعينيات أعرب 96% من عينة الدراسة عن إيمانهم بالله، كما أن 71% قالوا إنهم منتمون إلى كنيسة أو معبد يهودي، كما أكد 45% من العينة أنهم يمارسون العبادات والطقوس بصورة منتظمة. ما يزيد عن 56% من الأميركيين يصفون أنفسهم بأنهم بروتستانت، بينما 27 % يعدون انفسهم كاثوليكا و2% يهود.

لقد كان دور الدين في الحياة العامة موضوعا مثيرا للجدل منذ نشأة الولايات المتحدة الأميركية. وازداد الموضوع اهمية مع صعود "اليمين الديني" كقوة سياسية في الولايات المتحدة.

وتختلف التفسيرات والأسباب التى أدت إلى ما يرى في المجتمع الأميركي من مظاهر العودة إلى الدين وصعود دور الكنيسة في حياة الفرد والمجتمع، ومن بين هذه التفسيرات التي لا يلتفت إليها الكثيرون ظاهرة جيل الطفرة الكمية في عدد المواليد التي اعقبت الحرب العالمية الثانية الذي يسمى في

الثقافة الأميركية بـBaby Boomers، حيث اتجه الأميركيون بعد الحرب العالمية الثانية وما سبقها من سنوات الإحباط وتدني معدلات النمو الاقتصادي إلى زيادة عدد المواليد بصورة غير مسبوقة ليولد جيل جديد ينشأ في ظل ظروف اقتصادية واجتماعية مغايرة، أهم ما يميزها أجواء الرخاء والرفاهية. ويلاحظ الباحثون منذ فترة أن هذا الجيل الكبير الذي يبلغ متوسط أعماره الآن 50 سنة يعود إلى الدين في صورته المؤسسية المنظمة.

وفي جانب مقابل، و رغم كل ما يقال عن تدين المجتمع الأميركي وأهمية دور الدين في حياة الفرد والأسرة والمجتمع، لا يزال الدين في اعتقاد وسلوك معظم الأميركيين شأنا شخصيا لا يتجاوز قناعات الفرد وطريقة معيشته. وذلك نظرا للتوازن الكائن في المجتمع بين الدين والمحافظة من جانب، والعلمانية وحرية الاختيار واحترام الحياة الخاصة للأخرين من جانب آخر.

على ان مايلاحظ على سلوك الادارات الامريكية لاسيما الجمهورية منها انها اخذت وبشكل متصاعد في الاتجاه نحو الدين وتوصيف القرارات الخارجية وكانها قرارات ذات طابع ديني معبرة عن رسالة سماوية على الامريكي ان يحققها. وليس ببعيد التصريحات العديدة التي صرح بها الرئيس بوش الابن حول الحرب على العراق وكأنها حرب ربانية.

من هنا يناقش البحث توظيف الادارة الامريكية الحالية للعامل الديني في القرارات الاستراتيجية المهمة والتي غيرت وجه العالم وجعلت الولايات المتحدة تنطلق في توجهها نحو العالم الخارجي من مفاهيم جديدة قائمة على تقسيم العالم لمحورين: محور الخير ومحور الشر.

فرضية البحث

ينطلق البحث من فرضية قوامها ان ادارة الرئيس الامريكي جورج بوش الابن وظفت الاتجاه المتزايد لدى عامة الامريكيين نحو الدين سبيلا لتحقيق اهداف سياستها الخارجية لا سيما في الحرب على العراق عام 2003.

هيكلية البحث

ستوزع هيكلية البحث على اربعة مباحث، يناقش المبحث الاول علاقة الدين بالسياسة الامريكية وسيحاول الاجابة عن سؤال مفاده هل ان امريكا فعلا علمانية؟ ام انها علمانية مع تواجد نزعة دينية في ان واحد؟ وما هو تاريخ تطور فصل الدين عن الدولة في الولايات المتحدة؟

اما المبحث الثاني فسيتناول العوامل الدافعة باتجاه توظيف العامل الديني. فيما سيناقش المبحث الثالث تاثير المسيحية الصهيونية في الادارات الامريكية واسبابها. بينما سيهتم المبحث الرابع بدراسة توظيف العامل الديني من قبل ادارة الرئيس جورج بوش الابن لاسيما في الحرب على العراق.

المبحث الأول

الدين والسياسة الامريكية: رؤية في تطور فكرة فصل الدين عن الدولة.

من المعروف ان انشاء الدولة الامريكية بعد حرب الاستقلال وسن الدستور الامريكي عام 1787 جاء بفعل مجموعة من المستدعيات [1]، ومنها المستدعيات الفلسفية التي استندت الى الدراسات السابقة عن الدولة ونظام الحكم والعلاقة بينهما والعلاقة بين الدين والدولة في كتابات الفلاسفة الاوربيين. ومن تلك الكتابات فصل الدين عن الدولة، وهي فكرة جديدة نسبيا من الناحية التاريخية،اذ انها نتاج عصر التنوير والثورة الفلسفية التي حدثت في أوروبا في القرن الثامن عشر.

وكان مجيء عصر التنوير إيذانا بنهاية حقبة حكم الملوك بموجب "الحق الإلهي"، الذي كان يقوم على أساس فكرة أنهم كانوا مختارين من قبل الرب. وبعد التنوير سعى الناس إلى البحث عن أساس عقلاني غير ديني للقوانين التي تحكمهم، وعد الدين مسألة رأي شخصي بدلا من كونه ميدان سباق لقوانين الحكومة. ولم يلهم عصر التنوير الثورة الأميركية والمؤسسات الفلسفية للأمة الجديدة فقط، ولكنه أثر أيضا في الدساتير والفلسفات السياسية لكثير من دول أوروبا الغربية[2]. ولذلك عمل المهاجرون الى العالم الجديد لاسيما (البيوريتان) [3] على اكتساب هوية جديدة تختلف بقدر كبير عن الهوية التي كانوا عليها قبل الهجرة الى الارض الجديدة، كما قام هؤلاء بتاسيس المستعمرات الثلاث عشرة الاولى في الولايات المتحدة، وقد ابتكرت المستعمرات التي أصبحت النواة الأولى للولايات بعد الثورة الأميركية مجموعة كبيرة من الحلول لإحداث توازن بين الدين والسلطة وأيدت بعض الولايات مثل ولاية فرجينيا الفصل الكامل بين الدين والسلطة السياسية في دستور ولايتهم. وأدمجت ولايات أخرى بعض المعتقدات الدينية في الحياة العامة. اذ فرضت ولاية بنسلفانيا على مواطنيها الإيمان بالجنة والنار، لكنها لم تفرض عليهم مزيدا من المعتقدات المحددة. في حين ايدت بعض الولايات فصل الدين عن الدولة لأنهم كانوا يخشون أن تعمل السلطة السياسية على إفساد المؤسسات الدينية، وليس العكس[4].

---

[1] – عن تلك المستدعيات انظر: هاملتون وماديسون وجاي، الدولة الاتحادية: أسسها ودستورها، ترجمة جمال محمد، مكتبة الحياة، بيروت، 1959، ص13.

[2] – م. جد هارمون، اضواء على دستور الولايات المتحدة، ترجمة امير كامل، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1952، ص28.

[3] – طائفة دينية اصلاحية بروتستانتية هدفها اصلاح الكنيسة والغاء الطقوس الدينية ونظام الرتب الكنسية.

[4] – علاء بيومي، عرض كتاب(امريكا وتحديات التنوع الديني)، http://www.aljazeera.net/NR/exeres/A672A1D7-0D00-49B0-9B8F-FAFD9A85FB 66.htm

وقد اثر العامل الديني في تكوين الرأي السياسي منذ نشاة الدولة الامريكية لكن ضمن النطاق الداخلي، اي ضمن نطاق المستعمرات الامريكية الاولى، ولذلك فان احد الافكار المحورية تقول" الأميركيين أجمعوا مبكرا على قبول فكرة أن مجتمعهم –رغم تنوعه– هو (مجتمع) مسيحي بالأساس، وأن معنى التنوع (الديني) يجب أن يفهم بشكل أساسي في سياق الأغلبية المسيحية"[5].

ومع منتصف القرن الـ18 بدأ الأميركيون في التعرض لأفكار علمانية وتنويرية متزايدة، فتحت الباب لانتشار فكر مدني ينادي باحترام الآخر والتسامح معه، ولكن المسيحية ظلت الإطار الرئيس للنظر للأخر وتقييمه، فكلما اقتربت عقائد غير الأميركيين من المسيحية تعامل الأميركيون مع الآخر بشكل أكثر تقبلا. ويشير البعض الى ان العقود الاولى من القرن الـ19 شهدت مرحلة إحياء ديني واسعة وصعود الجماعات المسيحية الأصولية ونشاطها في التبشير، لذا أصبح المبشرون مصدرا رئيسا لشرح الآخر للشعب الأميركي، وقد ربطوا بين الحضارة الأميركية والمسيحية، حيث رأوا أن أميركا قوية بسبب المسيحية وأن الشعوب الأخرى ضعيفة بسبب افتقارها للمسيحية[6].

وفيما يتعلق ب(فصل الدين عن الدولة) في السياسة الامريكية، فقد كان الرئيس توماس جيفرسون أول من أشار إلى "جدار الفصل بين الدين والدولة" في رسائله المتبادلة مع الرئيس جيمس ماديسون. ورغم أن هذين الرئيسين المؤسسين احتفظا بهذه الفكرة في التعديل الأول للدستور، الذي عدل عام 1791، فقد استغرق الأمر سنوات أخرى طويلة قبل التوصل إلى أي نوع من الإجماع الوطني على الحدود الفاصلة بين الدين والدولة. ولم يحدث أي تغيير حتى تمرير التعديل الخامس عشر، عام 1868، الذي أصبحت فيه حرية الدين حرية مكفولة للجميع وعلى نطاق الاتحاد الفيدرالي وأمكن تطبيق التعديل الأول في الولايات، ولم يحدث أي تغيير آخر حتى العام 1947عندما أصدرت المحكمة العليا قرارات كثيرة مختلفة تتعلق بالمؤسسات الدينية، حيث قضت المحكمة العليا بدستورية قيام الحكومة بتعويض الآباء الذين دفعوا مصاريف نقل أبنائهم بالحافلات إلى المدارس الدينية، بينما حظر قرار العام 1962 الصلاة في المدارس العامة.

وفي العام 2005 نظرت المحكمة العليا في قضيتين تتعلقان بتقديم عرض مسرحي للوصايا العشر في الأماكن العامة، واحدة في مبنى البرلمان بولاية تكساس والأخرى في دار القضاء بولاية

---

[5] – المصدر نفسه.

[6] – المصدر نفسه.

كنتاكي. وقضت المحكمة بأن العرض في مبنى البرلمان كان علمانيا في طبيعته ويمكن أن يستمر، في حين أن العرض في دار القضاء في كنتاكي كان محاولة ترويج للدين ومن ثم يجب نقله من هذا المكان.

ورغم أن عددا من القضايا قد حددت معايير تراعى عند تقييم انتهاك محتمل لعلاقة الدين بالدولة، فليس هناك خط واحد يمكن اتباعه، وعموما ترى المحكمة عدم دستورية أي قوانين قد تفرض معتقدا دينيا معينا على المواطنين، يمكن أن تؤول على أنها موافقة حكومية لدين معين[7].

[7] - ريا ميارسكوف، العلاقة بين الدولة والدين في الولايات المتحدة،
http://www.aljazeera.net/mritems/streams/2006/12/28/1_665506_1_51.pdf

المبحث الثاني

العوامل الدافعة باتجاه توظيف العامل الديني

ومن ابرز هذه العوامل:

أ- نظرة الامريكيين للاهمية المتزايدة لدور الدين

مثل الدين وكما يرى الباحثون الامريكيون، واحدا من اهم القيم التي بني عليها العالم الجديد منذ حمل المهاجرون الجدد الى امريكا عام 1620 معهم العقيدة البروتستانتية (الكالفنية) التي تطورت بدورها لتتلائم مع ماتطور في العالم الجديد[8].

وقد بات واضحا أن كثيرا من الأميركيين لا يوافقون على أن الحكومة يجب أن تظل خارج هيمنة الدين، فالكثيرون يصنفون الولايات المتحدة على أنها دولة مسيحية ويستشهدون بعبارة "أمة واحدة بأمر الرب" الموجودة في قسم الولاء للدولة وعبارة "ثق في الرب" المنقوشة على العملة الأميركية.

ويشير استطلاع للرأي أجرته أسوشيتدبرس أن 40% من الأميركيين يعتقدون أن القادة الدينيين يجب أن يكون لهم رأي في السياسة العامة. وأشار استطلاع آخر لشبكة فوكس نيوز المحافظة إلى أن 77% من الأميركيين يشعرون بأن المحاكم تمادت كثيرا في إبعاد الدين عن الحياة العامة، كما أوضح نفس الاستطلاع السابق أن 66% يؤيدون عرض الوصايا العشر في المدارس العامة، وصوت 76% لصالح عرضها في المباني الحكومية. وطالبت بعض الجماعات الدينية بعودة الشعائر الدينية إلى المدارس، رغم حظر المحكمة العليا لهذا الأمر منذ أكثر من 40 عاما مضت[9].

لقد ازداد تاثير تصاعد الوعي الديني في الضغط على صانع القرار لصالح اتخاذ قرارات حتى في المجال الخارجي نابعة ومتسقة مع تلك الافكار الدينية[10]، ولذلك أظهر استطلاع للرأي العام الأميركي أجراه معهد بيو لاستطلاعات الرأي في مارس/ آذار 2003، قبل أيام قليلة من الحرب على العراق أن نسبة 77% من الإنجيليين البيض يؤيدون استخدام الولايات المتحدة للقوة العسكريةلاحتلال العراق. واذا ما عرفنا ان مجموع الإنجيليين بلغ أكثر من 60 مليون شخص

---

[8] – كوثر الربيعي، العلاقة بين الدين والسياسة في الفكر السياسي الامريكي، اوراق دولية، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، العدد 166، 2008، ص1.

[9] – ريا ميارسكوف، مصدر سبق ذكره.

[10] – عبد الخالق شامل، عملية صنع القرار في السياسة الخارجية الامريكية، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2005، ص43.

خلال عام 2000 وهو في تصاعد مستمر، عندها يمكن ان نعي مدى تأثير الكنائس الإنجيلية والقساوسة في بلورة رأي هذه الشريحة الاجتماعية التي شكلت قاعدة انتخابية رئيسة للرئيس بوش والمحافظين الجدد، وذلك من خلال الترويج للفكرة التي تعتبر أن الولايات المتحدة بقيادة الرئيس بوش "القائد المتدين والتقي الورع" تعمل على تطبيق مشيئة الله في الأرض [11].

ب- الصحوة المسيحية في ربع القرن الاخير

ادت التحولات العميقة في الثقافة الدينية الأميركية منذ السبعينيات حتى اليوم الى زيادة الاتجاه نحو الدين لاسيما الدين الاصولي، فقد خرجت الكنائس من الزوايا وهوامش المجتمع، إلى صدارة الحدث السياسي والاجتماعي، بفضل ثورة الإعلام والاتصال، وخصوصا عبر ما يدعى (الكنائس التلفزيونية)، وتوسعت الطوائف الأصولية كالمعمدانية Baptist والمنهجيةMethodist وغيرها على حساب المسيحية التقليدية. وأصبح تيار "المسيحيين المولودين من جديد" Christians Born Again في اتساع مطرد، وهو أكثر التيارات المسيحية تماهيا مع اليهودية، وبالتالي مع عصمة الدولة اليهودية وقدسيتها.

ويمكن اعتبار عام 1976 بداية نهوض (الصهيونية المسيحية) كعامل سياسي رئيس في الولايات المتحدة، وكعلامة فاصلة في تزايد قوة هذه الحركة وتاثيرها وعددها وامكانياتها. واطلقت صحف كثيرة في ذلك العام تسمية(عام المسيحيين الانجيليين والاصوليين) [12]. وقد شكلت الحركة المسيحية الاصولية العديد من حملات الضغط لاسيما بعد ان امتلكت وادارت بفعالية الكنيسة ومنظماتها.

ج- تزايد نفوذ المنظمات الصهيونية المسيحية

تعود نشاة اليمين الديني حسب المؤرخين الى بدايات قيام الولايات المتحدة في القرن السابع عشر على ايدي البيوريتاريين الذين نشروا كنائسهم وبسطو سيطرتهم اواخر القرن الثامن عشر [13].

ومع تفاعل الحركة البروتستانتية في المجتمع الامريكي، تمخض عن المذهب البروتستانتي مايعرف باسم المسيحية الصهيونية الاصولية التي يقودها القس (ماريون غوردون بات

---

[11] – عادل الدقاقي، المسوغات الدينية للسياسة الامريكية ازاء الشرق الاوسط، تقرير واشنطن، وزارة الخارجية الامريكية، العدد 119، 2007/6/2.

[12] – يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الامريكية تجاه االصراع العربي الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص40.

[13] – كوثر الربيعي، مصدر سبق ذكره، ص1.

روبرتسون) مؤسس وزعيم التحالف المسيحي وهو اكثر الحركات القاعدية نفوذا وسطوة في السياسة الامريكية المعاصرة.

ومن اهم المنظمات الصهيونية المسيحية:

1- منظمة السفارة المسيحية الدولية: تاسست يوم 30 أيلول 1980 في القسم الغربي من مدينة القدس ردا على القرار الذي اتخذته ثلاث عشرة دولة آنذاك والقاضي بنقل سفاراتها من القدس إلى تل أبيب[14].

2- منظمة التحالف المسيحي الأميركي: منظمة يمينية محافظة تدعي أنها من أكبر المنظمات الجماهيرية المسيحية في الولايات المتحدة، وأن قاعدتها الجماهيرية تصل إلى مليونين، في حين أن مصادر أخرى تشير إلى أن عدد مؤيديها ما بين ثلاثمائة وأربعمائة ألف شخص. أسسها بات روبرتسون عام 1989 والذي يعد نفسه ناطقا باسم اليهود وإسرائيل كما جاء في موقعه الإلكتروني ومحطته التلفزيونية وبرنامجه "نادي السبعمائة". كذلك تؤيد الحرب الأميركية على العراق وتقيم صلوات منظمة لصالح القوات الأميركية هناك. وتعد المنظمة تلك الحرب جزءا من الحرب على ما يسمى الإرهاب[15].

3- منظمة أصدقاء إسرائيل المسيحيون: منظمة -كما تعرف نفسها- كهنوتية إنجيلية كنسية غير ربحية مسجلة في إسرائيل ومقرها في القدس ولها فروع في جميع أنحاء العالم. وتعتبر المنظمة نفسها ممثلة لكافة المسيحيين المحبين لإسرائيل في العالم أجمع والذين يرغبون في وجود قناة رسمية لهم تعبر عن صداقتهم ومؤازرتهم لإسرائيل كما يحثهم الإنجيل. وتفسر المنظمة دعمها لليهود وإسرائيل بأنه جزء من حبها للمسيح[16].

4 – منظمة جسور السلام: أنشئت في القدس عام 1976 بهدف بناء علاقات بين المسيحيين واليهود في العالم لدعم إسرائيل. وتقول المنظمة إنها ومن خلال برامجها تمنح المسيحيين فرصة التعبير بفعالية عن مسؤوليتهم الإنجيلية أمام الرب ليكونوا مؤمنين بإسرائيل والمجتمع اليهودي. وتشجع المسيحيين على الخروج عن صمتهم الطويل ومشاركة اليهود في معاركهم التي كانوا يخوضونها وحدهم، وأن على المسيحيين أفرادا وجماعات الدفاع عن اليهود الذين منحوهم الإنجيل[17].

---

[14] – http://www.aljazeera.net/NR/exeres/7F8BBC31-8936-4620-9198-C4280B983DFA.htm

[15] - http://www.aljazeera.net/NR/exeres/A5668DCF-39EA-4516-842D-9DEA34E424CE.htm

[16] - http://www.aljazeera.net/NR/exeres/757D36F6-4A04-4428-BBF2-07E86AE67BBB.htm

[17] – http://www.aljazeera.net/NR/exeres/55662BF5-9B20-4BCE-A9EB-8BB8AE35A560.htm

ذلك فضلا عن العديد من المنظمات الاخرى التي تلعب جميعا دورا ضاغطا على صانع القرار لتاييد افكارها.

د- تزايد دور الاذاعات الدينية والمحطات التلفزيونية المسيحية :

وتتاتى اهمية وسائل الاعلام هذه بوصفها اصبحت ناطقة عن التشدد الامريكي، وعادة ما يتحول هؤلاء المذيعون خلال برامجهم إلى خطباء أيديولوجيين متحمسين يروجون لأفكارهم ولمعتقداتهم اليمينية بشكل واضح ويتخلون عن وظيفتهم المفترضة كإعلاميين موضوعيين يبحثون عن الحقيقية ويحاولون تقديم وجهات النظر المختلفة، لذا تتسم هذه البرامج في كثير من الأحيان بطابع أيديولوجي قوي وبصدامات صاخبة مع الجماهير ومع التيارات الفكرية المعارضة[18].

وتشير الإحصاءات إلى أن عدد الإذاعات المخصصة بشكل كلي للأخبار وللبرامج الحوارية زاد من 75 محطة إذاعية في عام 1980 إلى 1400 إذاعة عام 2003، كما يشير استطلاع أجرته مؤسسة غالوب الأميركية لاستطلاعات الرأي العام في عام 2002 إلى أن 22% من الأميركيين يستمعون لبرامج الإذاعات الحوارية يوميا، كما ينصت 10% من الأميركيين إلى هذه البرامج مرة واحدة كل أسبوع، في حين يستمع 29 % من الأميركيين لهذه البرامج على فترات متفرقة. كما تصل البرامج الإذاعية الحوارية إلى ثلثي الشعب الأميركي، وأن ثلث الشعب الأميركي حريص على متابعة هذه البرامج بانتظام[19].

اضافة الى ذلك توجد اكثر من 200 محطة تلفزيونية تقوم بنشر عقيدة الولاء الثانية ومعركة هرمجدون على نطاق واسع لتجعل منها ركنا ثابتا من اركان الايمان الديني والثقافة العامة في الولايات المتحدة بهدف اعادة صياغة وتشكيل الحياة الامريكية وفق رؤى اليمين المتشدد[20].

---

[18] – غريس هالسل، النبوءة والسياسة ، ترجمة محمد السماك، دار الناشر، عمان، 1990، ص44.

[19] – علاء بيومي، صعود الإذاعات اليمينية الأميركية
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/3ECCFF68 1-A47-4307-8F9F-5537ADB26 1CA.htm

[20] – محمود عزو الحمدو، الخلفية الدينية للقرار السياسي الامريكي، مجلة الفرات، جامعة كربلاء، العدد 4، 2006، ص 80

المبحث الثالث

تاثير المسيحية الصهيونية في الادارات الامريكية

يوصلنا التتبع التاريخي لمسيرة البروتستانتية في الولايات المتحدة الى حقيقتين اساسيتين هما[21]:

1-ان التأثير اليهودي كان واضحا منذ البداية على الاتجاهات الاصولية، اذ تم تهويد المسيحية في الولايات المتحدة مما ادى الى صياغة قالب ديني بروتستانتي يهودي قاعدته التوراة، وتم الترويج لمصطلحات من نوع: التراث المسيحي اليهودي المشترك، الاخلاق المسيحية اليهودية، الالتزام الادبي الاخلاقي بدعم اسرائيل.

2-هيمنة الاتجاه الاصولي على البروتستانتية الامريكية، على الرغم من وجود اتجاهات ليبرالية ويسارية داخلها.

ولما كانت الافكار اليهودية الصهيونية مؤثرة بشكل فعال على الاصوليين، فان هؤلاء اسهموا بشكل فعال -بالنتيجة- في طغيان الافكار الصهيونية على الاتجاه الديني، ولذلك تلبست الافكار الدينية بلباس الصهيونية بفعل(التراث المشترك) .

ولان الافكار لاتحقق النتائج المطلوبة ما لم يتح المجال لها للتطبيق العملي، فقد ادرك الاصوليون هذه الحقيقة، وعملوا جهدهم لانتقال التحرك الاصولي من الحركة ذات الطبيعة الدينية الى المؤسسة التي لابد وان تؤدي دورا سياسيا يخدم مصلحة الاصوليين، فكان ان تاسست (الرابطة الوطنية للانجيليين) عام 1942. وقد اتاح تاسيس هذه الرابطة واكتساب الشكل المؤسسي للاصولية البروتستانتية الامور الاتية[22]:

1- امكانية التاثير والضغط لاسيما على السلطتين التشريعية والتنفيذية.

2- تنظيم شبكة من العلاقات مع الطبقة العليا المؤثرة من رجال الاقتصاد والسياسة.

3- اتاحة الفرصة لتكوين كيانات مماثلة في وقت لاحق.

لقد اسهمت عوامل عديدة في صلابة التحالف بين الصهيونية المسيحية والصهيونية اليهودية، ومنها[23]:

1- ظهور اليمين المسيحي ما أدى إلى انتشار الفكر الصهيوني المسيحي داخل اليمين الأميركي.

---

[21] – كوثر الربيعي، مصدر سبق ذكره ، ص2

[22] – المصدر نفسه.

[23] – هشام سلام، تحالف المسيحية الصهيونية واليهودية الصهيونية
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/EDC732F6-8FAC-49C7-8070-B8A7B0348394.htm

2- نجاح جهود اللوبي الإسرائيلي بالولايات المتحدة في تقوية دعم واشنطن لإسرائيل بعد حرب 1967.

3 - نجاح حزب الليكود في الفوز بأغلبية الكنيست عام 1977. ومن المعروف أن سياسات رئيس الوزراء الإسرائيلي بيغن للتوسع في بناء المستوطنات حظيت بتشجيع المسيحيين الصهيونيين الأميركيين، وربما كان استخدامه المتكرر للاسم التوراتي للضفة الغربية "يهوذا وسامرة" في تصريحاته ساعد على إحياء فكرة عودة المسيح وصلتها بقيام الدولة اليهودية عند اليمين المسيحي.

لقد ظهرت نتائج التحركات آنفة الذكر للاصوليين منذ سبعينات القرن الماضي، اذ وصل ولاول مرة في تاريخ الولايات المتحدة إلى البيت الأبيض عام 1974 رئيس يعتز بانتمائه إلى هذا التيار، وهو الرئيس (جيمي كارتر)، الذي عبر عن حقيقة الرباط العقدي بين اليهود والمسيحية الأميركية في خطاب له أمام الكنيست الإسرائيلي عام 1979 قال فيه: "إن علاقة أميركا بإسرائيل أكثر من مجرد علاقة خاصة.. لقد كانت ولاتزال علاقة فريدة، وهي علاقة لا يمكن تقويضها، لأنها متأصلة في وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأميركي"[(24)]. وقد كشف التحالف عن نواياه في أواخر السبعينيات، عندما أعلن الرئيس الأميركي آنذاك جيمي كارتر ترحيبه بفكرة إقامة دولة فلسطينية مستقلة، فقامت المنظمات اليهودية والمسيحية الصهيونية بإدانة تلك الفكرة من خلال إعلان نشر في الصحف الأميركية. فعندما صرح جيمي كارتر عام 1977 بأن "الفلسطينيين لهم حق في وطنهم" ، انبرى قادة ونشطاء الصهيونيين المسيحيين، بالإضافة إلى اللوبي الصهيوني للرد عليه بإعلانات تصدرت الصحف الأميركية تقول إن "الوقت قد حان لأن يؤكد المسيحيون البروتستانت إيمانهم بالنبوءة التوراتية والحق الإلهي لإسرائيل في الأرض... نحن ننظر ببالغ الاهتمام لأي محاولة لتجزئة الوطن القومي لليهود من قبل أي دولة أو حزب سياسي" (25).

أما الرئيس الجمهوري رونالد ريغان فكان من المؤمنين بالصلة بين إنشاء الدولة الإسرائيلية وعودة المسيح، فقد نقلت وكالة أنباء الأسوشيتدبرس محادثة بين ريغان ومدير اللجنة الأميركية الإسرائيلية للشؤون العامة (أيباك) المؤيدة لليهود، قال فيها ريغان لمحدثه "عندما أعود

---

[24] – محمد بن المختار الشنقيطي، المسيحية الصهيونية والسياسة الأميركية
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/62DA4D09-10AD-454D-9E0D-532BBEC982F3.htm

[25] – زياد أبو الريش، تأثير المسيحية الصهيونية في السياسة الأميركية.
www.aljazeera.net/.../DCFD7524-29E1-4C38-8B3E-632542D2C034.htm

بالذاكرة لأنبيائكم الأقدمين في التوارة والعلامات التي تتنبأ بالمعركة الفاصلة المسماة هرمجدون، أجدني أتساءل إذا كنا نحن الجيل الذي سيشهد وقوعها" [26].

أما في إدارة الرئيس الجمهوري جورج بوش الابن، فقد بدى نفوذ الصهيونيين المسيحيين أوضح ما يكون، رغم علاقاته القائمة مع اليمين المسيحي.

ويرى البعض أن التحالف بين المحافظين والصهيونيين المسيحيين استطاع بعد أحداث 11 أيلول 2001 توسيع ما يسمى الحرب على الإرهاب ليشمل العراق وفلسطين. كما ان دعم هذا التحالف لإسرائيل نابع من إيمانهم بالوظيفة التي تؤديها إسرائيل أو اليهود كما جاء في التوراة تمهيدا لعودة المسيح عليه السلام. وأصول الدعم ترجع إلى أنه من الناحية الدينية يركز الكثير من القساوسة المتشددين في الولايات المتحدة خاصة فيما يعرف بولايات حزام الإنجيل في الجنوب الأميركي مثل تكساس وجورجيا، على الدراسات الخاصة بـ"نهاية العالم" وعودة المسيح ودور اليهود في معركة نهاية العالم أو هرمجدون ثم تحولهم إلى المسيحية أو فنائهم بالكامل [27].

ويعتقد الكثير من الشعب الامريكي لاسيما من أوساط المجموعة الكبرى من المتدينين العاديين الذين اكتشفوا دينهم مؤخرا ويطلق عليهم "ولدوا للمسيحية من جديد"، يعتقدون أنه يتعين عليهم الدخول في خندق واحد مع مناصرين آخرين لإسرائيل وعلى رأسهم بالطبع تيار المحافظين الجدد، لأن هذا التيار هو الذي يساعد إسرائيل على الإسراع في عودة المسيح والاقتراب من نهاية العالم. كما ينظر الى" الدولة الحديثة في إسرائيل باعتبارها تحقيقا لنبوءة توراتية، وأنها بهذا تستحق دعما سياسيا وماليا ودينيا" [28].

وعندما حاول الرئيس بوش الابن تبني سياسة أكثر استقلالا عن السياسة الأميركية تجاه الأوضاع في الأراضي الفلسطينية المحتلة تصدت له منظمات اليمين المسيحي، فأثناء عملية الدرع الواقي العسكرية الإسرائيلية عام 2002 التي انتهت بعودة القوات الإسرائيلية إلى المدن الفلسطينية في الضفة الغربية مثل بيت لحم ورام الله وجنين، اضطر جورج بوش تحت الضغط الدولي لأن يبعث برسالة لرئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون قال له فيها "اسحب قواتك فورا". وردا على ذلك حشد قادة الحركة الصهيونية المسيحية أنصارهم فقاموا بإرسال آلاف الاتصالات الهاتفية والرسائل الإلكترونية والخطابات إلى الرئيس تحثه على عدم الضغط على إسرائيل لوقف عمليتها، الامر الذي ادى لان يغير الرئيس بوش موقفه.

---

[26] – المصدر نفسه.

[27] – خالد الحروب، من اجل صهيون، قناة الجزيرة الفضائية، 2006/5/20.

[28] – عماد مكي، تحالف الصهيونية المسيحية مع المحافظين الجدد، الجزيرة نت.

وبعد إدانة إدارة بوش الأولى لمحاولة اغتيال القيادي البارز في حركة المقاومة الإسلامية (حماس) عبد العزيز الرنتيسي في حزيران 2003، حشد الصهيونيون المسيحيون مع اليمين المسيحي أنصارهم للاحتجاج على هذا النقد، وكان العنصر الأساسي في الحملة هو التلويح بعدم التصويت في يوم الانتخاب. وخلال 24 ساعة فقط كان هناك تغير ملحوظ في الخطاب العام للرئيس [29].

هذا التاثير في الادارة الامريكية، يفسر لنا اصرار الرئيس بوش على احتلال العراق بحجة اسقاط نظامه السياسي المعادي لدول الجوار وبحجة معاونته للارهاب، منطلقا في ذلك من وجهة نظر دينية تتفق ومعتقدات الصهيونية المسيحية، وهو الموضوع الذي سيناقش في الفقرة التالية.

[29] – زياد أبو الريش، مصدر سبق ذكره.

المبحث الرابع

الرئيس جورج بوش الابن وتوظيف العامل الديني

منذ احداث الحادي عشر من ايلول 2001 واعلان الرئيس بوش لاستراتيجية ادارته القاضية بالحرب على الارهاب، واصراره على استخدام مصطلحات دينية من الكتاب المقدس لتبرير قيامه بالحروب في الخارج، منذ ذلك الوقت كثرت الكتابة في الصحافة الأميركية عن الخلفية الدينية المؤطرة لتفكير الرئيس بوش. فقد أعدت مجلة "نيوزويك" الأميركية ملفا عن الاعتقادات الدينية التي تدفع جورج بوش إلى سلوكه السياسي والعسكري ، وكيف ركب بوش موجة الأصولية البروتستانتية الصاعدة، وهو أحد أبنائها، ليقود أميركا في مغامرات يطغى فيها الحماس الديني على البصيرة السياسية.وخلال الحملة الانتخابية للفوز بترشيح الحزب الجمهوري لخوض انتخابات الرئاسة قال جورج بوش الابن إن السيد المسيح هو أفضل فيلسوف سياسي لديه لكونه أنقذه من طريق الضلال ودله على الصراط المستقيم [30].

وقد أعلن الرئيس بوش صراحة أن عقيدته الدينية كان لها تأثير كبير عليه كرئيس، خاصة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية. وقد حدد فهمه للحرب على الإرهاب على أنها معركة بين الرب والشر، وغالبا ما يأتي حديثه عن هدف أمريكا في العالم الأكبر، والهدية الإلهية، والدعوة إلى الحرية ممتلئا بالعواطف. وفي هذا المحور سنركز على ثلاث مسائل: تطور الوعي الديني للرئيس جورج بوش الابن، اذ ان هذه القضية هي المسبب الاساس في توظيف العامل الديني لخدمة اهداف السياسة الخارجية. وثانيا ترابطية وثنائية الدين والسياسة في تفكير الرئيس بوش. واخيرا سنتناول توظيف العامل الديني في الحرب على العراق.

أ- تطور الوعي الديني عند الرئيس جورج بوش الابن :

رغم ان الرئيس جورج بوش الابن ولد لابوين متدينين، الا ان الابن في شبابه لم يعرف التدين، بل كان يعرف بادمانه الخمر. الا ان نقلة نوعية حصلت في حياته نقلته من (اللاعبودية) الى تاييد التيار الديني لاسيما الاصولي، والسبب كما يقول بوش نفسه هو القس بيلي غراهام وهو واحد من ابرز وجوه اليمين المسيحي. يقول بوش "إنه الرجل الذي قادني إلى الرب". وقد سمع العرب والمسلمون عن "غراهام" وابنه "فرانكلين" بسبب تهجماتهما على الإسلام ووصفه بشتى الأوصاف المشينة. ذكر بوش في حملة الانتخابات الرئاسية أنه يبدأ حياته كل يوم بقراءة

---

[30] – محمد بن المختار الشنقيطي، بوش.. طغيان الحماس الديني على البصيرة السياسية
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/67851872-4F90-43C0-ADA2-6BE1E5003AFC.htm

الكتاب المقدس الذي يشمل الإنجيل والتوراة العبرانية. ومن كتبه المفضلة التي يقرأها يوميا في البيت الأبيض كتاب للقسيس "أوزوالد شامبرز" الذي مات في مصر عام 1917 وهو يعظ الجنود البريطانيين والأستراليين للزحف إلى القدس وانتزاعها من المسلمين.

ويرى البعض أن الرئيس بوش ومساعديه يتعمدون استخدام العبارات ذات المعنى المزدوج التي تظهر على أنها عادية بالنسبة للمستمع العادي، لكنها تحمل في طياتها إشارات مشفرة لا يستطيع فكها سوى الشخص الذي يفهم معناها الحقيقي ويدرك المرجعية الدينية التي تستند إليها. فمثلا عندما يقول الرئيس بوش إن "منطقة الشرق الأوسط تمر بمرحلة تاريخية ومفصلية يتوجب على شعوبها الاختيار بين الديمقراطية والحرية وبين الاستبداد والتطرف" يتلقى الشخص العادي هذه العبارة بمعناها السطحي والمظهري على أنها تنم عن حسن نية والتزام الرئيس بوش بالمبادئ الأميركية الراسخة المتمثلة في الدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان [31].

وفور وقوع هجمات 11 أيلول أضفى بوش على ما يجري صفة النزاع الكوني والأبدي، الذي ينص عليه الإنجيل والتوراة، بين المؤمنين والدجالين أتباع الشيطان. وقال عقب ساعات قليلة من وقوع الهجمات إن تلك الهجمات تمثل "انطلاقة الحرب الكونية ضد الشر"، وأضاف أن الولايات المتحدة مدعوة لكي تتحمل "مهمتها التاريخية" وأن "الرد على هذه الهجمات هو تخليص العالم من الشر". وشدد على أن النصر مؤكد في هذه الحرب لأن الله يقف إلى جانب قوى الخير التي تمثلها الولايات المتحدة. وردد حينها خلال خطاب بثته وسائل الإعلام المزمور التوراتي رقم 23 الذي يقول "تقدم إلى الأمام ودافع عن الحرية وعن كل ما هو خير وعادل في عالمنا". وخلال جميع التصريحات التي سبقت الحرب على أفغانستان واستمرت حتى بعدها وصولا إلى الحرب على العراق، واصل الرئيس بوش استخدام التعبيرات الدينية والاستشهاد بفقرات من الإنجيل في محاولة لتوضيح نظرته الخاصة لما يجري في العالم [32].

ب- ثنائية وترابطية الدين والسياسة عند الرئيس بوش

لاحظ كثيرون أثر الدين في رؤية بوش السياسية، بشكل غير معهود في الحياة الأمريكية،فهو يميل إلى التفسير الديني للأحداث السياسية الحالية، وقد قال في حديث اذاعي :"إن الإرهابيين يمقتوننا، لأننا نعبد الرب بالطريقة التي نراها مناسبة". كما يكثر في أحاديثه

---

[31] – عادل الدقاقي ،مصدر سبق ذكره.

[32] – المصدر نفسه.

وخطاباته إيراد المصطلحات الدينية. فهو كثير الحديث عن "الرب" وعن "الصراع بين الخير والشر". وما مصطلح "محور الشر" إلا مثالا واحدا على ذلك.

وقد لاحظ أحد الكتاب أن بوش يفضل استخدام مصطلح "الحرية" على مصطلح "الديمقراطية"، وأن الحرية في عرف بوش ذات مدلول ديني، فهي ليست حرية الخيار السياسي بالضرورة، بل "حرية اكتشاف الرب" بكل المدلول المسيحي التبشيري لذلك. وذكرت مجلة نيوزويك أن أنصار بوش من الإنجيليين يأملون أن تكون الحرب على العراق فاتحة لنشر المسيحية في بغداد [33].

ويميل الرئيس بوش إلى اعتماد البرامج الاقتصادية والاجتماعية، التي ترسخ الدين المسيحي في المجتمع الأمريكي وفي العالم. ومن أمثلة ذلك داخليا تخصيصه بندا من الميزانية لتمويل المؤسسات التربوية والاجتماعية الدينية، من كنائس ومدارس دينية وغيرها، وهي سابقة في تاريخ الولايات المتحدة، اعتبرها كثيرون بداية النهاية للموقف الحيادي من الدين الذي يلزم الدستور الأمريكي الحكومة به. أما خارجيا فمن أمثلة ذلك تخصيص بوش 15 مليار دولار لمكافحة الأيدز في إفريقيا، وهو برنامج يحمل مضمونا تبشيريا أيضا، فقد ورد في النيوزويك أن حلفاء بوش من الحركة الإنجيلية يطمحون إلى استعمال تلك الأموال في نشر المسيحية في إفريقيا.

ويشير الكاتب الصحفي بوب وودوارد في كتابه: "بوش في الحرب" Bush at War إلى قصة طريفة تكشف عن جانب من جدلية الدين والسياسة في تفكير الرئيس بوش. فقد حكى بوش للكاتب في إحدى مقابلاته معه أثناء إعداد الكتاب قصة لقائه الأول مع الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" يوم 2001/06/19. يقول بوش:"دخل الرئيس بوتين وجلس ... وحضر المترجمان.. وأراد بوتين أن يبدأ الكلام، لكني بادرته بالقول: السيد الرئيس.. دعني أبدأ بالإشارة إلى أمر لفت انتباهي، وهو أن والدتك أعطتك صليبا، وأنكم باركتم ذلك الصليب في إسرائيل الأرض المقدسة. فقال: صحيح. فقلت: إن هذا الأمر يثير عجبي، لأنك كنت شيوعيا وضابطا في (الكي جي بي) ومع ذلك كنتَ راغبا في حمل الصليب، إن هذا الأمر بالنسبة لي يحمل من المعنى أكثر مما تحمله مجلدات". ثم يضيف الرئيس بوش: "..وبدأ بوتين يتحدث عن ديون روسيا... لكني كنت مهتما أكثر بمعرفة هذا الرجل [بوتين] الذي علي أن أتعامل معه، ولهذا أردت التأكد من صحة قصة الصليب".

---

[33] – مجلة نيوزويك، 2003/03/10.

ولعل أعمق تحليل ونقض لفلسلفة بوش وحماسه الديني الذي يطغى على حكمته السياسية، هو ما كتبه القس "فريتس ريتسش" في مقاله في الواشنطن بوست "عن الرب والإنسان في المكتب البيضاوي" فقد تتبع القس فريتس المصطلحات الدينية في خطاب جورج بوش، والنزعة الوثوقية في أحاديثه بأن الرب إلى جنبه دوما. مثل قول بوش: "إن الحرية والخوف، العدل والفظاعة، ظلا دوما في صراع، ونحن نعرف أن الرب ليس حياديا في هذا الصراع". ومن ذلك تكراره الدائم أن أمريكا "أمة مؤمنة وخيِّرة ومثالية"، وأحيانا "أمة رحيمة وسخية". وبالطبع فإن أطفال العراق وفلسطين يعرفون عن تلك الرحمة وذلك السخاء أكثر من غيرهم!! [34].

ان الترابطية بين الدين والسياسة هي التي جعلت بوش يصدق ان حربه على العراق لابد ان تقع، اذ انها واجب ديني لابد من تحقيقه. وهو الموضوع الذي سنناقشه في الفقرة التالية.

ج_ توظيف العامل الديني في الحرب على العراق

في دراسة نفسية لشخصية الرئيس بوش، نجد ان شخصية الرئيس مركبة من الحماس الديني والمنفعية السياسية والمالية، فهو متدين يميني عن صدق، لكنه سياسي طموح، وهو أيضا "رجل نفطي" كما وصفه أحد الكتاب الفرنسيين [35]. وربما تصدق هذه الازدواجية على العديد من المحيطين به: فقد ذكرت مجلة "نيوزويك" أن زوجة "أندرو كارد" مدير مكتب بوش قسيسة، وأن والد مستشارته للأمن القومي "كونداليزا رايس" عمل واعظا في إحدى كنائس ولاية "آلاباما" [36] ومن المعروف أن "كونداليزا" كانت تاجرة نفط ناجحة قبل تقلد منصبها، ومثلها نائب الرئيس "ديك تشيني" وآخرون. وعليه اكثر من سبب وراء اصرار بوش على احتلال العراق. ولكن عندما يتكلم بوش عن العامل الديني، فهو يقصد بالفعل هذا العامل. والسبب ان بوش مقتنع تماما بالاراء المسيحية الاصولية التي تحثت عن ضرورات الحرب على العراق وحتميتها، وان الضرورة تقتضي ان تتحرك الجيوش الامريكية بواعز ديني لتحقيق اهداف ألهية تتضمن المناخين الديني والدنيوي على حد سواء.

---

[34] – محمد عبد العاطي، الكنائس المعارضة للصهيونية المسيحية
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/09E6D1BB-BD81-46AB-BC19-EC2151F4B0E0.htm

[35] - انظر الدراسة المهمة التي تناولت شخصية الرئيس بوش من منطلق التحليل النفسي: جوستن أ.فرانك، بوش تحت المجهر، الرئيس على أريكة التحليل النفسي، ترجمة سعيد الحسنية، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2003.

[36] – مجلة نيوزويك ، 2003/3/10.

ومن ابرز اراء الاصوليين التي سوقت للحرب على العراق بواعز ديني واثرت في افكار الرئيس بوش :

1- تيم لاهاي: يعد تيم لاهاي أحد أبرز الإنجيليين المقربين من الرئيس بوش. وهو "الزعيم الإنجيلي الأكثر تأثيرا في الولايات المتحدة على مدى السنوات الـ25 الأخيرة من القرن العشرين" بحسب معهد دراسة الإنجيليين الأميركيين. ومن ارآئه ان "العراق يشكل نقطة محورية خلال أحداث نهاية العالم" حيث إن العراق سيلعب دورا أساسيا في معركة هرمجدون التي ستقع في مجدو في فلسطين. كما قال" بعد غزو العراق وتخليصه من حكم الطاغية وإعتاق شعبه وإعادة إعماره سيصبح العراق الدولة العربية الوحيدة التي لن تدخل في حرب ضد إسرائيل وضد جيش الله خلال الحرب الأخيرة" [37].

2- بات روبرتسون: وهو مؤسس ورئيس شبكة التلفزيون المسيحية CBN ومؤسس بعض المراكز والجامعات الخاصة بتدريس المسيحية، وقد حاول الربط بين صدام حسين و"نبوخذ نصر"، وهو الملك الكلداني الذي حكم بابل خلال القرن الخامس قبل الميلاد وقام بغزو القدس وأحرق هيكل سليمان وأخرج اليهود من أرضهم وقام بتهجيرهم خلال ما يعرف بالسبي البابلي. وقد نصت عليه التوراة (وثيقة العهد القديم) في رؤية دانييل (إصحاح4:4-18). وحاول روبرتسون مرات عدة خلال برنامجه الشهير "نادي السبعمائة" تهويل الخطر الذي يشكله صدام حسين على إسرائيل وقال إنه يمثل قوى الشر المعادية للمسيح التي تحاول تقويض قيام الدولة الموعودة "دولة الله في الأرض" التي ستقام لمدة 1000 سنة بعد عودة المسيح وذلك بطبيعة الحال وفقا لمعتقدات المسيحيين الذين يؤمنون بالألفية [38].

3- جيري فالويل: واحد من ابرز الاصوليين الانجيليين ذوي الاراء المتشددة من الاسلام، وله دور مشهود في دعم الرئيس رونالد ريغان في انتخابات الرئاسة الامريكية 1979 . كان فالويل يشدد خلال عظات يوم الأحد على ضرورة تأييد قرار الحرب على العراق لأنها حرب مقدسة، وقال "إننا عندما نشن الحرب في العراق سنقوم بذلك لإعادة المسيح إلى الأرض لكي تقوم الحرب الأخيرة التي ستخلص العالم من جميع الكافرين". وكان يردد دائما إن الإنجيل ينص على أن الله يوجب على المؤمنين معاقبة الكافرين مستشهدا باقوال من الإنجيل. وقد أصدر

---

[37] – تجدر الإشارة إلى أن العديد من رجال الدين المسيحيين رفضوا الحرب في العراق وشددوا على أنها حرب غير شرعية كما رفضوا إضفاء طابع الدين أو الشرعية الإنجيلية عليها بمن فيهم البابا يوحنا بولس الثاني وخلفه البابا بنديكت الـ16 وعشرات القساوسة الكاثوليك والبروتستانت والإنجيليين.

[38] – عادل الدقاقي، مصدر سبق ذكره.

مقالا مثيرا للجدل أطلق عليه عنون "إن الله مؤيد للحرب" يبرر فيه سبب وضرورة غزو العراق والإطاحة بنظام حكم صدام حسين، وقال إن المسيحيين كانوا يجادلون بشأن قضية شن الحرب ضد قوى الشر منذ عقود طويلة وقال "إنه في الوقت الذي يعتبر فيه رافضو الحرب أن السيد المسيح مثال للسلام غير المتناهي، يتجاهلون الرواية بكاملها التي وردت في الرؤية التاسعة عشرة ويظهر فيها المسيح في يده سيف حاد يصعق الأمم ويحكمهم" [39].

4- القس ريتشارد لاند : هو رئيس لجنة الأخلاق والحرية الدينية في مجمع الكنسية المعمدانية الجنوبية التي يبلغ عدد أتباعها أكثر من 16 مليون شخص ولديها أكثر من 42 ألف كنيسة عبر الولايات المتحدة. يعد أيضا من أبرز الزعماء الإنجيليين المقربين من الرئيس بوش والمدافعين الشرسين عن سياساته خلال ظهوره بشكل مستمر على البرامج التلفزيونية على شاشات MSNBC وCNN وABC وCBS وNews Fox وغيرها ولديه برنامجان إذاعيان يوميان وثالث أسبوعي تذاع جميعها على موجات عدد من الإذاعات المسيحية. وكانت برامج لاند الحوارية بوقا للتسويق لقرار الرئيس بوش شن الحرب في أفغانستان والعراق وحشد التأييد الشعبي لها ومنحها التبريرات الدينية. وخلال العام 2002 وجه لاند رسالة نيابة عن خمسة قساوسة إنجيليين تناقلتها وسائل الإعلام الأميركية بشكل واسع يعتبر فيها أن شن الحرب الاستباقية ضد العراق حرب مشروعة لأنها تتوفر على جميع شروط "الحرب العادلة" المنصوص عليها في الدين المسيحي. وقال في الرسالة "إننا نؤمن بأن سياساتك المعلنة والمتعلقة بصدام حسين هي سياسات حذرة وتندرج في الإطار الزمني الذي تنص عليه نظرية الحرب العادلة" [40].

5- القس تشارلز ستانلي: زعيم سابق لمجمع الكنسية المعمدانية الجنوبية ، قال خلال إحدى عظات الأحد بالكنسية المعمودية الأولى بأطلانطا التي يشاهدها ملايين المشاهدين عبر شاشات التلفزة "يتعين علينا أن نقدم المساعدة في شن هذه الحرب بأي شكل من الأشكال". وأضاف "إن الله يقاتل ضد الذين يعارضونه ويقاتلون ضده وضد أتباعه" [41]. ليكون بذلك القس ستانلي قد أضفى الشرعية الدينية الكاملة على الحرب ومباركة الله لها، وبالتالي فإن تأييد الحرب التي يقودها بوش هو واجب ديني ومعارضتها هي معصية لمشيئة الله.

---

[39] – مستقبل اليمين المسيحي بعد رحيل فالويل، تقرير واشنطن، وزارة الخارجية الامريكية، العدد 19،2007/5/109

[40] – عادل الدقاقي، مصدر سبق ذكره.

[41] – المصدرنفسه.

من هنا نفهم مدى تاثر الرئيس جورج بوش وادارته بتلك الاراء وكيف انه وظف العامل الديني(عن قناعة كبيرة) في خدمة استراتيجية ادارتيه في الحرب على الارهاب، اذ بينما يرى كثيرون على سبيل المثال ان الحرب على العراق(مغامرة) ، فان بوش يعدها (حتمية تاريخية). وهنا ويقول المقربون منه إن هجمات 11 ايلول لم تعط معنى لرئاسته فقط، بل منحته مهمة ورسالة في الحياة. فبوش يعد قيادته لأمريكا بعد ذلك التاريخ أمرا إلهيا واختيارا ربانيا" [42].

ان اتباع الرئيس بوش (للفتاوى) الدينية تلك، ومن ثم توظيفها لخدمة خطط اعدها وفريقه للوصول لاهداف وغايات سيئة، ادت بالرئيس بوش لان يغفل عن رؤية الآثار السلبية التي قد تنتج عن حربه ضد العراق، ومنها: سقوط عدد وافر من المدنيين العراقيين والعسكريين الأمريكيين في القتال، ومزيد من الهجمات داخل أمريكا، وحدوث أزمة نفطية عالمية، وتعميق الجفوة بين العالم الإسلامي وأمريكا، واحتمال انهيار بعض الحكومات الموالية لواشنطن، وعزلة الولايات المتحدة في العالم، وبث الكراهية لها في أركان الأرض..الخ وبدلا من الرد على هذه الاعتبارات العملية بحجج عملية مناقضة، فإن جورج بوش، صاغ خطابه بلغة المطلقات: صراع بين الخير (أمريكا) والشر (العرب والمسلمون) ورسالة أمريكا التاريخية لنشر الحرية، منحة الرب المقدسة لكل البشر.. وهو خطاب جذب اليمين المسيحي، وأرضي اليمين اليهودي.

[42] – صحيفة الواشنطن بوست الامريكية، عدد 2003/3/9 .

الخاتمة

عندما ضمّن الرئيس بوش خطبه الى الشعب الامريكي احاديثاً دينية مستقاة من الكتاب المقدس، علق القس (فريتس ريتسش) في مقال كتبه لصحيفة الواشنطون بوست عن " الرب والإنسان في المكتب البيضاوي" فقال" "إن تقديم جورج بوش تبريرات دينية لحربه على العراق لأمر مقلق بل مرعب للكثيرين، وهو بدون نزاع أكثر جرأة من أي رئيس سبقه في هذا المضمار، باتفاق الجميع.... كما إن أغلب المصلين الذين يحضرون إلى كنيستي الصغيرة لا يعتبرون أنفسهم ، ولا يعتبرون الأمة الأمريكية، مجموعة من القديسين"، وهم "ليسوا مستيقنين من الورع الأمريكي" الذي يتحدث عنه جورج بوش. وهم "يرون أن انتصارنا على صدام حسين ليس دليلا كافيا على فضيلتنا أمام الناس ولا أمام الله، وهو لا يبدو حتى دليلا كافيا على انتصارنا على الإرهاب".

ورغم ان الدين لم ينفصل تماما عن الحياة العامة للشعب الامريكي_الوافد الجديد الى الارض الموعودة كما سماها المتدينيين الذين جاءوا من القارة الاوربية– ورغم انه لم ينفصل ايضا عن الحياة السياسية بدليل العقيدة الدينية للمؤسسين الاوائل للدولة الامريكية وايضا العبارات الدينية على عملة الدولار الامريكي وفي الدستور الامريكي، ورغم كل مايقال عن العلمانية وفصل الدين عن الدولة، الا ان الدين قد ازدادت اهميته و فعاليته في الربع الاخير من القرن المنصرم، وازدادت اهميته تصاعدا مع مجئ ادارة الرئيس جورج بوش الابن الذي اخذت افكاره السياسية تعتمد على اراء مجموعة من المسيحيين الانجيليين الذين يرون ان الحرب المقدسة التي ستخوضها امريكا هي حتمية ضرورية لكسب حرية الشعوب ولضمان غلبة الخير على الشر. اذ اخذ الخطاب السياسي يحمل ارشادات دينية من الكتاب المقدس.

والواقع، اذا كانت الحرب الامريكية على العراق قد استندت في جانب كبير منها لدعاوى دينية مبنية على اقاويل وردت في الكتاب المقدس منطلقة من الدور الذي لعبه العراق في تخريب ارض اسرائيل على يد نبوخذ نصر الملك البابلي العراقي، واحتمالية ان يكون العراق جزء من الحرب القادمة التي ستنهي دولة(اسرائيل الحديثة) من الوجود، فان بوش استند في استراتيجيته في الحرب على الارهاب العالمي بعد احداث الحادي عشر من ايلول 2001 املاً في الوصول لاهداف سياسته الخارجية المبنية على اساس انتصار الخير (الامريكي) على الشر (الاسلامي) على تلك الدعاوى التي فسرت خطأً من الكتاب المقدس بوصفها دعاوى لحكام امريكا الذين

سينتصرون للخير. وسواء كان بوش متدين فعلا ام انه ركب موجة الدين والاصولية الدينية لتحقيق اهداف سياسته، الا ان الثابت امرين:

الامر الاول: ان الاتجاه نحو الدين والعودة للدين هو امر آخذ بالازدياد في الولايات المتحدة، وهذا واضح من النسب المتزايدة لعدد الامريكيين الذين يقولون اننا في ولادة جديدة. والادهى ان العودة للدين تتم عبر البحث عن الاصول، وهي التي تربط البروتستانتية المسيحية باليهودية الصهيونية، ومن هنا ازداد دور المسيحية الصهيونية فكرا وعملا .

الامر الثاني: ان الرئيس بوش وادارته، ووعيا منه بالحقيقة آنفة الذكر،وتحت ضغط الاتجاه المتزايد نحو الدين لصالح كسب عقول الشعب الامريكي في المعركة الامريكية ضد العالم الآخر(الرافض لسياساتها)، بنى استراتيجيته القائمة على الحرب على الارهاب على هذا الاساس. فالحرية هي لامريكا ومن سار على هداها، اما من لم يسر على وفق الهدى الامريكي فهو من الاشرار الذين (فرض) الكتاب المقدس محاربتهم، واعطى شرف محاربتهم لمن (اختارته) السماء لهذه المهمة النبيلة. وبوش هو من اختير لهذه المهمة النبيلة حسب ما راى الانجيليون ، اما العراق ونظامه فهو الشر المستطير الذي يهدد امن العالم والذي لابد من ان يكون هدف الحرب المقدسة. هذه الاعتقادات الفاسدة ربما اقتنع بها بوش، او ربما استغلها لتصفية حساب قديم مع العراق، لكن يبقى المهم ان بوش وظف الاتجاه المتزايد لدى الامريكان نحو الدين لصالح تمرير سياساته ولاغراض نجاح استراتيجيته الشاملة.